دراسات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [2.32].

مدينة تنبكت
في مرآة الرحالة الأوروبيين خلال القرن التاسع عشر
روني كايي وهنري بارث نموذجًا

هشام بلمسرحة
باحث في سلك الدكتوراه
كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية
جامعة الحسن الثاني – المملكة المغربية

مُلَخّص

ارتبط اهتمام الأوروبيين بالقارة الإفريقية عامة، ومدينة تنبكت خاصة، في سياق تاريخي محدد ومحسوم فيه الآن، وهو السباق المحموم لاكتشاف المناطق المزمع استعمارها آنذاك. وتبعًا لذلك، نظمت الدول الأوروبية رحلات استكشافية متعددة الانتماءات والتخصصات، استحوذت فيها إنجلترا وفرنسا على النصيب الأوفر بشكل يعكس اهتمامهما بالمنطقة حيث توافد عدد من الرحالة الأوروبيين ابتداء من أواخر القرن الثامن عشر الميلادي. تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على جانب من الرحلات الاستكشافية الأوروبية، لمدينة "تنبكت" إبان القرن التاسع عشر الميلادي، من خلال نموذج رحلة كل من المستكشف الفرنسي "روني كايي" والألماني "هنري بارث" ، حيث تشتمل هذه الدراسة على مجموعة من المباحث حاولنا من خلالها التعريف بهذه الرحلات، وبصاحبيها وسياقها التاريخي، وأهم الأهداف التي جاء من أجلها أصحاب هذه الرحلات إلى "جوهرة الصحراء المتربعة على الرمال" ، ناهيك عن الصور والانطباعات التي خلفها الرحالة حول المجال المذكور. وقد توصلت الدراسة إلى أن رحلة كل من "روني كايي" و"هنري بارث" من الرحلات النفيسة والنادرة نظرًا لما تزخران به من معطيات وبيانات وإضافات قيمة وفي غاية الأهمية من شأنها ، إذا ما استغلت بالكيفية المثلى والصحيحة، أن تسد الفراغ المعرفي والبياض الذي تشكو منه الكتابات التاريخية المحلية حول حاضرة تنبكت التي يغلب عليها الشح والابتسار، سواء على صعيد عناصرها الإخبارية أو ما قدمته من (حقائق) ووقائع موثقة .

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٢٥ سبتمبر ٢٠٢٤
تاريخ قبـول النشـر: ٢٨ أكتوبر ٢٠٢٤

كلمات مفتاحية:

مدينة تنبكت؛ الرحلات الاستكشافية الأوروبية؛ جوهرة الصحراء المتربعة على الرمال؛ روني كايي؛ هنري بارث.

معرِّف الوثيقة الرقمي:

10.21608/kan.2025.426941

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

هشام بلمسرحة، "مدينة تنبكت في مرآة الرحالة الأوروبيين خلال القرن التاسع عشر: روني كايي وهنري بارث نموذجًا".- دورية كان التاريخية.- السنة الثامنة عشرة- العدد الثامن والستون؛ أبريل ٢٠٢٥. ص ١٣١ – ١٤٢.

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique

Corresponding author: hicham.belmsrha.mr@gmail.com
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورِيةُ كَان التَّارِيخِية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

ارتبط اهتمام الأوروبيين بالقارة الإفريقية عامة، ومدينة تنبكت خاصة، في سياق تاريخي محدد ومحسوم فيه الآن، وهو السباق المحموم لاكتشاف المناطق المزمع استعمارها آنذاك. وتبعًا لذلك، نظمت الدول الأوروبية رحلات استكشافية متعددة الانتماءات والتخصصات، استحوذت فيها إنجلترا وفرنسا على النصيب الأوفر بشكل يعكس اهتمامهما بالمنطقة حيث توافد عدد من الرحالة الأوروبيين ابتداءً من أواخر القرن ١٨م، كان منهم التاجر والسفير والمغامر والجاسوس والطبيب والمستكشف والمبشر والأسير والرسام والباحث، نشروا ملاحظاتهم ومشاهداتهم وانطباعاتهم على شكل كتب ومذكرات ورسائل وتقارير مطولة. ويظهر أن أغلب الرحالين والمستكشفين الأوروبيين، الذين جابوا مجاهل القارة السمراء، على الأقل منذ مطلع القرن التاسع عشر، كانت المغامرة، وارتياد المجهول، واكتشاف العجيب والغريب، والتنقيب عن الطريف والمدهش، والخروج عن المألوف، والبحث عن الثراء السريع، والرغبة في الحصول على جائزة خاصة، من الغايات الرئيسة، التي دفعتهم إلى التنقل إلى عين المكان، متجشمين عناء السفر في البر والبحر، ومخاطرين بأرواحهم وأجسادهم، أملا منهم في تحقيق بعض المكاسب المادية والمعنوية.

وضمن هذا السياق، جاءت رحلة كل من المستكشف الفرنسي "روني كايي" والألماني "هنري بارث"، اللتان تعتبران من بين أوائل الشواهد المصدرية التاريخية الأوروبية عن مدينة تنبكت خلال القرن التاسع عشر حيث استطاعتا أن تمدنا بمعلومات ومعطيات وإيماءات نفيسة وكثيفة عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية، والثقافية والجغرافية والحياة اليومية والعادات والتقاليد والاحتفالات، من داخل جوهرة الصحراء خلال القرن التاسع عشر في وقت انقطعت في فيه الأخبار عن منطقة السودان الغربي. إذن، ما هي الصورة التي رسمها كل من الرحالة الفرنسي روني كايي والألماني هنري بارث عن حاضرة تنبكت؟ وإلى أي حد تمكنا من تشخيص الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي للمجال المذكور خلال القرن التاسع عشر الميلادي؟

أولاً: التعريف بالمستكشف "روني كايي" و"هنري بارث" ورحلتيهما إلى حاضرة تنبكت

١/١-تعريف "روني كايي" ورحلته إلى تنبكت

رحالة فرنسي، ولد سنة ١٨٠٠م في مدينة موز[١] لأبوين فقيرين توفيا أثناء طفولته، تلقى تعليمه في مدرسة خيرية كما زاول حرفة التجارة في طفولته ثم تخلى عنها لينشغل بمطالعة الأسفار والرحلات والأعمال الجغرافية، واطلع على الكتب والخرائط التي تهتم بإفريقيا حيث شاهد صحاري وأماكن مجهولة شغلت باله لذلك أصبحت القارة الإفريقية مصدر إثارة لفضوله[٢] وقد جاءته فرصة السفر إلى تنبكت[٣] بعد أن أعلنت الجمعية الجغرافية الفرنسية عن مكافأة قدرها ١٠,٠٠٠ فرنك لأول أوروبي يصل إلى تنبكت ويأتي بأخبارها[٤] فانطلق في رحلته من سيراليون ليصل إلى نهر النيجر حتى كابرا، بوابة تنبكت فدخل جوهرة الصحراء سنة ١٨٢٨م[٥].

٢/١-تعريف "هنري بارث" ورحلته إلى تنبكت

رحالة ألماني، ولد سنة ١٨٢١م في مدينة هامبورغ[٦]، بدأ دراسته الأولية في هامبورغ وأكملها في جامعة برلين، درس الجغرافيا المقارنة وتعلم اللغة الإنجليزية واللغة العربية ولغات الشعوب الإفريقية، كان شجاعا يحب المغامرة، وبقدر ما يحب المغامرة يحب الاطلاع والمعرفة[٧]، زار عدة مناطق في سوريا والأناضول. أرسل للقارة الإفريقية ضمن البعثة البريطانية التي قاداها جيمس ريتشاردسون سنة ١٨٥٠م بهدف نشر الديانة المسيحية، والقضاء على تجارة الرقيق واستبدالها بالتجارة المشروعة، وكذا إيجاد مناطق نفوذ في القارة الإفريقية تتطلع بريطانيا لتجعل منها مناطق تجارية جديدة[٨]. وقد انطلقت البعثة من طرابلس ووصلت مدينة تنبكت سنة ١٨٥٣م[٩].

ثانيًا: نقط الالتقاء والتقاطع في مسيرة الرجلين

١/٢-تكوينهما العلمي

على الرغم من الفارق الزمني الذي يقدر بربع قرن وعلى الرغم من انتمائهما إلى أصلين مختلفين حيث إن الأول فرنسي والثاني ألماني. فإن كليهما كان له ثقافة واسعة وفي مجالات مختلفة على رأسها التمكن من اللغات حيث كانا يجيدان الإنجليزية والفرنسية والألمانية والعربية ولغات الشعوب الإفريقية[١٠] كما كان للرجلين معرفة بمجال الجغرافيا، رغم أن الأول لم يتلق تكوينا علميا أكاديميا في علم الجغرافيا، في حين أن الثاني كان أستاذا للجغرافيا المقارنة الشيء الذي جعل كتاباته تتميز بالصرامة العلمية، وهو ما يظهر من خلال دقة تحديد المواقع ووصف الأماكن التي زارها، مقابل ذلك كان كايي يكتفي بالعموميات في وصف الأماكن وتحديد المواقع[١١].

٢/٢-روح المغامرة

يلتقي الرجلان كذلك في حب المغامرة والولع بالأسفار. وهكذا وبعد أن قرأ روني كايي عن القارة الإفريقية وجغرافيتها[١٢]، أصبحت هذه الأخيرة مصدر إثارة لفضوله نظرا لما تتميز به من اختلاف عن القارة العجوز. وقد بدأ الرجل رحلته من سيراليون وركب نهر النيجر حتى انتهى به المطاف عام ١٨٢٨م في تنبكت وقضى بها أربعة عشر يوما[١٣]، بينما اتبع بارث طريقا معاكسا إذ بدأ رحلته من طرابلس الغرب سنة ١٨٥٠م، ووصل إلى تنبكت سنة ١٨٥٣م[١٤].

٣/٢-دخولهما تنبكت

تتمثل نقطة الالتقاء الثالثة في الطريقة التي دخلا بها مدينة تنبكت هي التظاهر بالإسلام والتنكر في الزي العربي وحمل القرآن حيث إن كايي استقر في السنغال مدة ثلاثة سنوات تعلم فيها اللغة العربية والإسلام وعادات وتقاليد المسلمين كما تعرف على الاحتفالات الدينية عند المسلمين، وبعد ذلك تنكر في زي عربي مسلم ورع وسمى نفسه عبد الله[١٥]، بينما بارث هو الآخر تعلم اللغة العربية والإسلام وسمى نفسه عبد الكريم رغم أن هذا كان يختلف مع مبادئه كمسيحي[١٦].

ثالثًا: الموقع الجغرافي ووصف حاضرة تنبكت

تقع مدينة تنبكت بين خطي عرض ١٧°و٣٧° شمال خط الاستواء، وخطي طول ٣°و٥° غرب خط غرينتش، على سفح تلة رملية ذات اتجاه من الشرق إلى الغرب، وعلى منحدر جنوبي لتلة أخرى موازية للأولى وإلى الشمال منها[١٧]. وتأخذ الهيئة العامة للمدينة شكل مثلث تقع قاعدته عند النهر، محيطها يزيد عن ميلين ونصف إلى ثلاثة أميال[١٨]، مع مراعاة بعض زوايا الإسقاط. لم تكن المدينة مسورة[١٩] حيث تم تدمير سورها السابق الذي لم يكن كبيرا من قبل فولاني ماسينا سنة ١٨٢٦م[٢٠]. لقد تم تخطيط المدينة جزئيًا على شكل مستطيل، شوارعها متعرجة وغير مرصوفة لكنها تتكون في الجزء الأكبر من الرمال الصلبة والحصى[٢١]، وعلى الرغم من صغر حجمها فإن المدينة كانت مأهولة بشكل جيد، وجميع المنازل تقريبًا في حالة جيدة، منها حوالي ٩٨٠ منزلًا من الطين ومئتي كوخ مخروطية الشكل من الحصير، وهي تشكل مع عدد قليل من المناطق ضواحي المدينة على الجانبين الشمالي والشمالي الشرقي حيث يوجد قدر كبير من القمم التي تراكمت على مدى عدة قرون، وتشكلت في أكوام بارزة، وكانت البيوت كلها مبنية بالطين[٢٢] وبها فناء ولها غرفة علوية على الشرفة باستثناء أن منازل الفقراء ليس لها غرفة علوية على الشرفة. لقد كانت المباني العامة الرائعة الوحيدة في المدينة هي: المساجد الثلاثة الكبيرة مسجد "جينجير بير"، الذي يقع في أقصى الجنوب الشرقي الذي بناه مانسا موسى، و"مسجد سانكوري" الذي يقع في الشمال، والذي بني في فترة مبكرة على نفقة امرأة ثرية، و"مسجد سيدي يحيى" والذي يقع وسط المدينة، والذي بني على نفقة قاضي البلدة. وكان هناك ثلاثة مساجد أخرى، مسجد سيدي الحاج محمد ومسجد بلال ومسجد سيدي البامي[٢٣]، في حين يشير الرحالة الفرنسي روني كايي إلى وجود سبعة مساجد إلى جانب هذه المساجد الآنفة الذكر[٢٤] كما أنه لا توجد في المدينة مباني عامة مميزة باستثناء مادغو أي القصر الملكي الذي اعتاد ملوك سونغاي السكن فيه[٢٥]، وكذلك

القصبة، أو "صاني-كونكو"، الموجودة في الجنوب الشرقي والتي كان يسكنها التجار من "غدامس"، وهي الأكثر ثراءً، وهي تحتوي على أفضل البيوت كما أن هناك ستة أحياء أخرى، و "يوبو بير " أي السوق الكبير، وساري-كينا، وهذا يعني حرفيًا "البلدة صغيرة" التي تحتوي على منزل الشيخ، ومنزل آخر يعود للشيخ البكاي. ويرتبط بساري-كاينا، باتجاه الشمال، يوب-كاينا، أي السوق الصغير"، والذي يستخدم بشكل خاص كسوق جزارين[٢٦].

رابعًا: الجانب السياسي والاجتماعي والاقتصادي والديني في مدينة تنبكت من خلال الرحلتين

١/٤-الجانب السياسي

كانت مدينة تنبكت خلال منتصف القرن التاسع عشر من الناحية السياسية تابعة للشيخ أحمد البكاي الكنتي[٢٧] الذي تولى خلافة السجادة القادرية الكنتية في تنبكت بعد وفاة أخيه الشيخ المختار الصغير في عام ١٨٤٧م كما أن المدينة كانت تابعة تبعية إسمية لإمبراطورية الفولاني ماسينا[٢٨] (مالي الحالية) وذلك منذ سنة ١٨٢٦م عندما قامت قبائل الفولاني ماسينا بهجوم على مدينة تنبكت الشيء الذي كاد أن يلحق دمارا كبيرا بالمدينة وساكنيها لولا تدخل الشيخ سيدي محمد بن المختار الذي كان لوساطته الأثر الإيجابي الأكبر في تراجع الغزاة قبل دخول المدينة، بفضل الحل الوسط الذي توصل إليه معهم مما حفظ للمدينة استقلاليتها التي اشتهرت بها عبر قرون كما أتاح في الوقت ذاته للغزاة الفولاني سلطة إسمية على مدينة تنبكت تمثلت في دفع ضريبة سنوية لدولة ماسينا، وفي وجود ممثل مقيم لها في المدينة. وبعد وفاة الشيخ محمد بن المختار خلفه ابنه الأكبر الشيخ المختار الصغير الذي قاد في عام ١٨٣١م جيشًا كبيرًا من أنصاره من الطوارق[٢٩] والكونتة، هاجم به الوحدات العسكرية التابعة لدولة ماسينا الفولانية التي كانت متمركزة في أجزاء من مدينة تنبكت منذ عام ١٨٢٦م بمقتضى الاتفاق الذي أشرنا إليه من قبل[٣٠]. وقد تمكن بالفعل من إجلائهم بصورة مؤقتة عن المدينة، غير أن الوضع لم يستقر تماما بتنبكت إذ تجدد النزاع في عام ١٨٤٤م تمكن في نهايته الشيخ المختار الصغير من تحرير المدينة نهائيا من فولاني دولة ماسينا[٣١]، ولم يمضى وقت طويل حتى توفي الشيخ المختار الصغير في عام ١٨٤٧م في وقت كان فيه ابنه عبد الحميد لا يزال طفلاً صغيرًا؛ لهذا آلت خلافة السجادة القادرية إلى الشيخ أحمد البكاي في مدينة تنبكت والسودان الغربي والأوسط لكن سرعان ما تجدد الصراع بين أحمد بن أحمد، حاكم إمبراطورية الفولاني ماسينا، والشيخ أحمد البكاي إثر استضافة هذا الأخير للرحالة الألماني هنري بارث حيث قام حاكم مسينا بإرسال تجريدة مكونة من ألف فارس لاعتقال الرحالة الألماني بارث[٣٢]، وفي هذا الصدد استعد الشيخ أحمد البكاي لقتال القوات الفولانية الغازية إذ خرج لمواجهتها خارج مدينة تنبكت مستعينا بالطوارق[٣٣]، إلا أن الجند الفولاني رفضوا قتال الشيخ البكاي وفضلوا الرجوع إلى مدينة حمد الله عاصمة بلادهم لأنهم لم يمتلكوا من القوة ما يواجهون بها قوات الشيخ البكاي[٣٤].

٢/٤-الجانب الاجتماعي

(٢/٤) ١-السكان والتركيبة الاجتماعية

بلغ عدد سكان حاضرة تنبكت في منتصف القرن التاسع عشر حوالي ١٣٠٠٠ نسمة[٣٥]، بين الساكنة الثابتة والمتحركة، هذه الأخيرة التي تتألف من التجار العرب[٣٦] والمغاربة والطرابلسيين والغدامسيين وتاجكنت والتوات وتادمكة، القادمين كافتهم لقضاء بضعة أشهر في السنة في تنبكت. ويقدم أيضا أهالي الجنوب من فولبي[٣٧] وموسي وبامبارا وصانصاندينغ[٣٨] وجيني وكانو وغيرهم من أجل مبادلة منتوجات مناطقهم بمنتوجات الشمال[٣٩] باعتبار أن تنبكت هي المستودع الرئيسي للسودان الغربي[٤٠]، كما كانت المدينة تعرف رواجًا على الدوام لا يمكن إيجاده خارجها. وقد يمكث كافة هؤلاء التجار في تنبكت لمدة تطول أو تقصر ثم يعودون إلى بلدانهم[٤١]، علاوة على أن سيطرة مختلف السلط التي تعاقبت عليها خلفت آثار مرورها فكل الفصائل تتلاقى بها، ومن مزيجها تولدت أنواع مركبة دون طباع مميزة. جعلت الشعب السنغي

يفقد كل مميزاته وخصوصياته وحتى طابعه الخاص وروحه الوطنية ولغته[٤٢].

ومع هذا، فإن العناصر الرئيسية للساكنة هم الصنغاي[٤٣] والطوارق والمغاربة مع أن الأوائل هم الأكثر عراقة. وغني عن القول أن ديانة البلد هي الإسلام حيث أن كل ممارسات الشعب التنبكتي وتقاليده مستمدة من تعاليم الإسلام[٤٤].

(٢/٤) ٢-السكن

يستشف من معطيات وبيانات بارث أنه كان مهتمًا بشكل كبير بوصف المنازل والبيوت المشيدة في حاضرة تنبكت؛ إذ خصص لها حيزا مهما ضمن كتاباته.

وهكذا، يشير الرحالة إلى أن أغلبية الدور والمساكن الموجودة في الحاضرة المذكورة هي إما مبنية بالطين أو بالأجر المجفف في الشمس[٤٥]، ويضيف بارث بأن الهندسة المعمارية في هذه الأخيرة تعتبر في المجمل بسيطة وعادية للغاية، بيد أنه لم يفته التأكيد على أن بعض البيوت تتوفر على مظهر مرضي، بل وتشكل مشهدا لطيفا ورائعا نسبيا للعين كمنازل تجار غدامس ومادغو، أي القصر الملكي، الذي اعتاد ملوك سونغاي السكن فيه[٤٦]، ومنازل التجار المغاربة[٤٧].

علاوة على هذه المعطيات الدقيقة، يذكر بارث أن المنازل الجيدة البناء تعود إلى الطبقة الميسورة في حاضرة تنبكت، وهي مجهزة تجهيزا جيدا، وغالبا ما كانت هذه المنازل مكونة من عدة غرف؛ إذ نجد غرفة عادة ما نجد فيها بعض العبيد ينتصبون هناك واقفين، وربما في بعض الأحيان سيد المنزل، وهي غرفة مخصصة للزيارات ثم إلى جانب هذه الغرفة، هناك غرفة أخرى خلفها محجوزة أيضا للزيارات كما تتوفر هذه المنازل على ساحات داخلية واسعة نوعا ما محاطة بغرف خاصة، إضافة إلى هذا نجد أيضا أن هذه المنازل تتوفر على طابق علوي، له نفس تصميم الطابق الأرضي حيث يتوفر على عدة غرف مهيأة لاستقبال الأصدقاء أو الشخصيات المميزة والنافذة[٤٨] كما أن بعض الساكنة وخاصة فئة التجار، غالبا ما كانت تحتفظ بغرفة أو أكثر حيث كانت تستخدم كمخازن لها[٤٩].

هذا من جهة، ومن جهة ثانية يخبرنا كايي أن منازل الساكنة الفقيرة والمعوزة والعبيد في الحاضرة المذكورة، غالبا ما كانت عبارة عن أكواخ بسيطة، مشيدة من القصب والقش والحصير[٥٠]، والجدير بالملاحظة هنا، هو أن أثاث منازل حاضرة تنبكت، يغلب عليه طابع البساطة وعدم التكلف، ويتكون هذا الأثاث في الغالب من بعض المستلزمات والأدوات المنزلية مثل الفرش والأغطية وأدوات المطبخ وصناديق مصنوعة من الخشب يضعون فيها ملابسهم كما يضعون فيها الأشياء الثمينة مثل النقود والمجوهرات، أما السرير فغالبا ما يتكون من القطن وسجادة وبعض (البطانيات) الممدودة على الحصير أو على الكارا، وهي عبارة عن منصة من الخشب أو من التراب، وتؤثث الوسائد والحصر مختلف الشقوق، وهي غنية من حيث (البطانيات) والأفرشة المصنوعة من وبر الإبل وصوف الأغنام[٥١].

(٢/٤) ٣-اللباس

لا يختلف لباس سكان حاضر ة تنبكت عن سكان المغرب، وهو يتألف بالنسبة للرجال عادة من سروال واسع شيئا ما، وغالبا ما يكون مصنوعا من القطن الأزرق أو الأبيض ثم جلابة مع قبعة حمراء حولها عمامة وشبشب أي (البلغة) وهي لباس خاص بالمسلمين، كثيرا ما كانوا يرتدونه عند الذهاب إلى المسجد[٥٢]، إضافة إلى هذا يرتدي الرجال برنسا من القماش الناعم، وأثواب من الحرير وقفطانا، ويتمثل لباس الرأس في (شال) يلف على الرأس، وعمامة وقبعة حمراء[٥٣] كما ينتعل الرجال خفافا صفراء الجلد، وهو نوع من النعال العربية[٥٤].

في المقابل، نجد ألبسة النساء التنبكتيات، غالبا ما تتكون من كاليكو، قميص إنجليزي مزخرف بالحرير الملون، إضافة إلى قمصان محلية الصنع يزينها سكان تنبكت بالحرير وتلبس في المنزل على وجه الخصوص[٥٥]، وفيما يتعلق بلباس الرأس، فعادة ما نجد أن نساء الحاضرة المذكورة يخرجن برؤوسهن عارية أو مغطاة بغطاء أسود اللون[٥٦] بينما ينتعلن على مستوى أرجلهن أحذية مغربية[٥٧].

وبموازاة ما تقدم، يذكر كايي أن النساء التنبكتيات يتزين بمجوهرات وحلي عديدة ومختلفة مثل الخواتم والدمالج والخلاخل والأقراط والقلائد والأساور، المصنوعة من الحديد أو النحاس أو الفضة، والمرصعة والمزدانة بالأحجار الكريمة كما تتزين النساء الثريات بمجوهرات كثيرة في أعناقهن وآذانهن، وترتدين خاتما في الأنف، أما الطبقة المتوسطة فتضعن قطعة من الحرير في أنوفهن بدل الخاتم، وترتدين أساور ودوائر من الفضة والحديد على الكاحلين[٥٨].

(٢/٤) ٤-الغذاء

يظهر بجلاء أن الأطعمة والأشربة التي كانت تؤثث المائدة التنبكتية يغلب عليها طابع البساطة والتقشف، وهو طابع يلائم ظروف ونمط العيش في حاضرة تنبكت، وهي ظروف تتسم بقساوة البيئة وصعوبة المجال. وقمين بالإشارة في هذا السياق أن الغذاء الرئيس لمعظم سكان حاضرة تنبكت كان يتجلى بالأساس في مادتي الدخن والأرز حيث لا ينتج مجال المدينة سوى القليل من الحبوب، أو لا ينتجها على الإطلاق لذلك يتم استيرادها من عدة مناطق مثل جيمبالا وجني وسان سندي، وغالبا ما كانت تصل كميات هائلة من جميع أنواع الدخن والأرز إلى ميناء كابرا[٥٩].

ومما ينبغي لفت النظر إليه بهذا الشأن، هو أن مادة القمح كانت تشكل غذاء مميزا للطبقة الغنية والميسورة[٦٠] بينما الخضروات والفواكه فهي تكاد تكون شبه منعدمة، أما لحم الغنم والبقر والماعز فكانت من بين المواد الاستهلاكية التي اعتمد عليها سكان هذه الحاضرة[٦١]. وإلى جانب ما سبق، شكلت الأسماك مادة استهلاكية، وكانت في الغالب تؤكل مجففة كما كان يتم بها تحضير الكسكس عوض اللحم[٦٢]، هذا بالإضافة إلى طبق الكسكس[٦٣]، والذي كان يعتبر الأكلة الرسمية والمفضلة للأهالي[٦٤]، فضلا عن الحليب المحلى بالعسل والبصل[٦٥]، هذا بالإضافة إلى الدخن والفستق والجبن[٦٦]، مع تقديم التمر للضيوف[٦٧].

أما بالنسبة للأشربة المنتشرة في حاضرة تنبكت في الفترة الزمنية المذكورة أعلاه، يتضح بجلاء مما أورده بارت أنها كانت تتمثل أساسا في الماء لا غير، ويخبرنا بارت في هذا الصدد أنه بفعل تحريم الشريعة الإسلامية شرب ومعاقرة الخمور[٦٨] فإن الساكنة المحلية يكتفون فقط بشرب الماء الذين يحتفظون به غالبا في جرار طينية كبيرة[٦٩]. ومما يلفت الانتباه في هذا السياق أيضا أنه في حاضرة تنبكت وباديتها كانت بعض الأشربة حكرا فقط على الفئات الغنية، وخاصة مشروب الشاي الذي كان من أهم المشروبات الفاخرة، التي تقبل عليها الفئة الميسورة أيما إقبال[٧٠]، بينما نجد كذلك مشروب القهوة والذي تناوله الرحالة الألماني بارث بحاضرة تنبكت[٧١] حيث تستهلك هذه الأخيرة لكن بنسبة قليلة، والسبب راجع بالأساس إلى قلة البن وندرته فيها إذ يتم استيراده من المناطق المجاورة لحاضرة تنبكت خاصة من مقاطعة نغرولاند[٧٢].

(٢/٤) ٥-الأسرة

فيما يخص الحياة الأسرية، لم تخرج تنبكت عن قاعدة أغلب الشعوب الإسلامية خاصة فيما يتعلق بالزواج حيث شكلت ظاهرة تعدد الزوجات إحدى أكثر الظواهر التي أثارت انتباه الرحالة "روني كايي" أثناء تجوله في حاضرة تنبكت[٧٣]، في حين أكد المستكشف الاسكتلندي "مانجو بارك"، الذي زارا منطقة الحوض الأوسط للنيجر، أن ظاهرة تعدد الزوجات كانت هي القاعدة في هذا المجال، وأنها كانت حكرًا على الرجال الأحرار دون غيرهم من العبيد، ويستطرد قائلاً "نظرًا لأن كل رجل حر لديه عدد كبير من الزوجات، فإنه من الضروري لمنع الخلاف الزوجي -على ما يبدو- أن يتم استيعاب كل واحدة من السيدات في كوخ خاص بها، وجميع الأكواخ التي تنتمي إلى نفس العائلة محاطة بسياج مبني من قصب الخيزران[٧٤].

(٢/٤) ٦-التعليم

يبدو أن المعلومات الواردة بكتب الرحالة عن المؤسسات التعليمية تتصف بالندرة الشديدة، ولعل انشغالهم بتسجيل الأمور الاقتصادية والجغرافية والسياسية جعلهم يضربون صفحا عن هذه المؤسسات الأنفة الذكر، بيد أن ذلك لم يحل دون ورود إشارات عفوية بهذا الخصوص؛ فقد أشار الرحالة "هنري بارث" إلى المسيد أو الكتاب[٧٥] في حاضرة تنبكت، والذي يتعلم

فيه الأطفال قراءة "القرآن الكريم"[٧٦] كما أنهم يصرون على تعليمه في سن مبكرةً، سواء تعهدوا بتعليمهم بأنفسهم، أو لغيرهم وخاصة للمغاربة الذين يعتقدونهم أفضل تعليماً لذلك أصبح أغلب الزنوج في تنبكت يقرأن القرآن ويحفظونه عن ظهر قلب[٧٧] كما أن كتاب "صحيح البخاري" من الكتب التي كان يدرسها شيوخ العلم لتلامذتهم في حاضرة تنبكت[٧٨]، كذلك شكل كل من مسجد "جينجير بير"، الواقع في أقصى الجنوب الشرقي من الحاضرة السالفة الذكر الذي بناه مانسا موسى، ومسجد سانكوري الواقع في شمال الحاضرة، والذي بني في فترة مبكرة على نفقة امرأة ثرية، ومسجد سيدي يحيى الذي يقع وسط الحاضرة، والذي بني على نفقة قاضي البلدة، منارة علم وثقافة تشع منها المعرفة والعلوم. هذا بالإضافة إلى أن هناك ثلاثة مساجد أخرى، منها مسجد سيدي الحاج محمد ومسجد بلال ومسجد سيدي البامي[٧٩]، في حين يشير الرحالة الفرنسي روني كايي إلى وجود سبعة مساجد إلى جانب هذه المساجد الأنفة الذكر[٨٠]، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على مركزية مدينة تنبكت العلمي والثقافي في السودان الغربي.

(٢/٤) ٧-العادات والتقاليد

الضيافة والكرم:

يُعَدّ الكرم من أبرز العادات والتقاليد التي عايشها الرحالة في حاضرة تنبكت، وأسهبوا في ذكرها والإشادة بها، سواء ما تلقوه من الملوك أو كبار الشخصيات وحتى من عامة الشعب، فقد تنافس سكان تنبكت في الكرم وحسن الضيافة، وتلك الصفة متأصلة في الإنسان الإفريقي منذ القدم، فلما جاء الإسلام أكد عليها وحض المسلمين على البذل والعطاء وإكرام الضيف، وعادة الكرم لها ضرورتها في تلك المنطقة من القارة السمراء، وقد أدرك السكان ذلك فبذلوا كل ما في وسعهم لإكرام ضيوفهم.

لقد كانت مظاهر الكرم تتجلى في الترحيب بالضيف ومؤانسته[٨١]، وفي هذا الصدد أكد "كايي" بقوله: استقبلني مضيفي سيدي عبد الله بطريقة أبوية تماما، وقدم لي وجبة عشاء مكونة من كسكس جيد مصنوع من الدخن مع لحم الضأن[٨٢]، ويستطرد شاكرا مضيفه بصدق: لأنني عرفت كيف أقدر ضيافته الكريمة، لقد أعطاني في البداية غرفة في منزله لأعيش فيها بمفردي[٨٣]. وفي ذات السياق، يصف الرحالة الألماني بارث حسن الضيافة التي تلقاها من الشيخ أحمد البكاي الكنتي زعيم حاضرة تنبكت حيث يقول: في هذه الأثناء، كدليل على طبعه المضياف، أرسل إلى هدية رائعة، تتكون من ثورين، واثنين من الأغنام، ووعائين كبيرين من الزبدة، وحمل جمل، أو "سنيا" من الأرز، وآخر من الذرة الزنجية، وحذرني في نفس الوقت من تناول أي طعام لم يأت من بيته. ومن أجل رفع معنوياتي، طلب مني، على الفور، أن أختار بين الطرق الثلاثة التي أردت العودة إلى دياري من خلالها: إما عبر بلد الفلوب، أو في قارب على النهر النيجر[٨٤]، أو عن طريق البر عبر منطقة الطوارق[٨٥].

عاداتهم في الطعام:

يقدم لنا الرحالة معطيات عديدة حول ما يمكن أن نسميه بتقاليد المائدة وآداب الأكل في حاضرة تنبكت، ومما أمكن التقاطه من إشارات وشهادات في هذا الجانب، أن ساكنة حاضرة تنبكت كانت تتناول ثلاث وجبات رئيسة مختلفة في اليوم؛ الأولى هي وجبة الفطور، وهي وجبة تتناولها الساكنة عند حوالي الساعة الثامنة صباحا، وغالبا ما كانت تتناول فيها الخبز والشاي وزبدة البقر[٨٦] ثم وجبة ثانية، وهذه وجبة تتناولها ساكنة حاضرة تنبكت في حوالي الساعة الثانية والنصف بعد الزوال وفيها طبق الأرز بلحم البقر[٨٧]. وأخيرا، وجبة المساء في حوالي التاسعة ليلا التي كانت تتناول فيها الكسكس المحضر من الدخن مع لحم الضأن[٨٨].

٣/٤-الجانب الاقتصادي

يبدو من خلال المعطيات والارتسامات التي دونها كايي وبارت أن حاضرة تنبكت كانت تتوفر على إمكانات اقتصادية هائلة خاصة من الناحية التجارية الشيء الذي جعل منها قطبا اقتصاديا بامتياز خلال الفترة المدروسة ويظهر ذلك جليًا من خلال:

(٣/٤) ١-الفلاحة

يظهر من إشارات ومعلومات الرحالة أن الفلاحة في حاضرة تنبكت شبه منعدمة؛ فقساوة الظروف الطبيعية المتمثلة في جفاف المناخ عوامل لا تساعد على قيام النشاط الفلاحي، فعلى الرغم من أن مدينة تنبكت واحدة من أكبر مدن إفريقيا إلا أنها لا تملك موارد أخرى غير تجارة حيث أن تربتها ليست مناسبة للزراعة بأي حال من الأحوال، فمن جيني[٨٩] تحصل على كل ما هو ضروري لتزويدها بالدخن[٩٠] والأرز والزبدة النباتية والعسل والقطن والأقمشة، ومن السودان المنتوجات الجاهزة والشموع والصابون والفلفل والبصل والأسماك المجففة والفستق[٩١].

(٣/٤) ٢-الصناعة

عرفت مدينة تنبكت في منتصف القرن التاسع عشر (صناعات) محدودة تمثلت بالأساس

في صناعة الجلد حيث عمل فيها السكان وكثر محترفوها إذ تعددت الصناعات الجلدية؛ فصنعوا حقائب لحمل الأمتعة والوسائد والحقائب الجلدية الصغيرة الخاصة بالتبغ وأقمشة البنادق والملابس والحقائب الجلدية والنعال والأحذية، وقد كانت هذه الصناعة حكرا على الطوارق[٩٢] كما اشتهرت كذلك جوهرة الصحراء بحرفة دبغ الجلود التي صنعوا منها الملابس والنعال، والدروع والتي يتم تصنيعها بدوق رفيع للغاية ولها شكل الفرسان القدماء، إلا أنها مربعة في النهاية[٩٣].

ومن الصناعات المنزلية التي كانت منتشرة، صناعة النسيج داخل المنازل، زيادة على هذا فقد طور الأهالي صناعة النسيج بشكل كبير من خلال تزيين ملابسهم بخيوط دقيقة من الحرير حيث تستخدم هذه الملابس، التي تم تزيينها بالحرير، في المنازل فقط[٩٤] ومن الصناعات التي مارسها سكان تنبكت مهنة الخياطة[٩٥]. ومن الصناعات المهمة أيضًا في تنبكت، الحدادة حيث كان بها مجموعة حدادين، يصنعون أدوات الحرث وأدوات الحرب كالخناجر والسيوف والدروع والخوذات والرماح والفؤوس وصفائح الخيل والمطارق والإبر[٩٦].

ومن الصناعات المهمة والتي لم يتطرق إليها الرحالة هي صناعات الذهب والفضة والتي تعتبر من الصناعات المهمة في تنبكت حيث اشتهرت صناعة الذهب وخاصة في حي الغدامسية وحومة السوق ونحوها لأن عقول سكانها راجحة في ذلك[٩٧]، ويذكر صاحب مخطوط السعادة الأبدية، أحمد بابير الأرواني، أن أهل تنبكت أهل صنائع كالخياطة والحدادة والجزارة والدبغ وصناعة الذهب والفضة...وغير ذلك ولهم عقول راجحة في ذلك لا يأتيهم شيء في الأكثر إلا وصنعوا مثله[٩٨]،ويعطي الرحالة الحسن الوزان صورة عن انتشار وكثرة الصنائع والباعة في تنبكت ولا سيما حاكت القماش[٩٩].

إضافة إلى ما سلف، نجد كذلك حرفة البناء حيث إن هذه الحرفة وما تتطلبه من مجهود عضلي جعلها حكرا على العبيد في حاضرة تنبكت[١٠٠].

(٣/٤) ٣-التجارة

تقع مدينة تنبكت على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى بما يعرف بمنحنى نهر النيجر، وقد مكنها موقعها المتميز من أن تلعب دورا مهما في اقتصاد شمال وجنوب الصحراء[١٠١].

لقد مثلت التجارة المصدر الرئيسي في حياة سكانها لذلك اهتموا بها اهتمامًا كبيرًا، وتوافد عليها التجار من السودان الغربي، ومن خارجه، وخاصةً من الشمال الإفريقي، وفي مقدمتهم المغرب وليبيا؛ فكان تجار فاس والسوس وتوات وغدامس وفزان وطرابلس في حركة دؤوبة معها، يحملون معهم بضائعهم، ويعودون محملين بالذهب والرقيق والعاج وريش النعام وغيرها[١٠٢]. وقد أفاد كايي أن تنبكت كانت المستودع الرئيس لهذا الجزء من إفريقيا[١٠٣] كما اشتهرت المدينة بأسواقها الرائجة لتي كانت تعرض فيها كل المنتجات والتي يصعب حصرها، لكن سنكتفي بالإشارة إلى بعضها منها: الدخن، القمح، الأرز، الدجاج، البيض، الكولا، الفلفل الحار، الملح، الجبن، زبدة البقر، زبدة الشيا، السمك المجفف، العسل، التبغ، الحلي، الأقمشة، الشاي، السكر، الليمون الحامض، النظارات، البندق، البطيخ، الكاليكو (قماش إنجليزي)، الذرة، الزنجبيل، الوسائد الجلدية، الذهب، القهوة، جوز الكولا، الزنانير، أثواب الحرير،

أدوات المائدة، الأغطية الخشنة، التمر[١٠٤]، إضافة إلى الأقفال الحديدية والأوارق المصنوعة من الألواح المجمعة بقضبان ومسامير والأبواب والسلاسل الحديدية والمسامير[١٠٥] والخزر والعنبر والمرجان والكبريت والورق[١٠٦] والزبدة النباتية والعسل والشموع والصابون والفلفل والبصل والأسماك المجففة والفستق[١٠٧] والأواني الخزفية[١٠٨]. من زاوية أخرى، يخبرنا الرحالة بارت أن البنية التجارية لحاضرة تنبكت، سواء مع المغرب أو مع أوروبا أو مع حواضر شمال وغرب وشرق إفريقيا، تتلخص على الشكل الأتي:

– الصادرات: الذهب، العبيد، ريش النعام، الصمغ، العاج، الشمع، قرون وحيد القرن، البخور، شرائط المجوهرات، القطن، صمغ الكوبال، الفلفل، الهيل، الحلتيت، النيلي[١٠٩].

– الواردات: النحاس، الحديد، الملح، الطماطم، الدخن، الأرز، الذرة، التمر، التبغ، الأقمشة، الخضر، الفواكه، التوابل، القطن، الأغطية[١١٠]، الخزر، العنبر، المرجان، الكبريت، الورق[١١١]، الزبدة النباتية، العسل، الشموع، الصابون، الفلفل، البصل، الأسماك المجففة، الفستق[١١٢]، والأواني الخزفية[١١٣]. وهكذا، ومن خلال ما سبق، نستطيع القول إن حاضرة تنبكت تُعَدّ من أكبر الحواضر السودانية التي شهدت حركة تجارية وديناميكية اقتصادية معتبرة خلال منتصف القرن التاسع عشر.

٤/٤-الجانب الديني

يخبرنا كل من كايي وبارث أن دين حاضرة تنبكت هو الإسلام، وأن جميع عاداتها وتقاليدها وأحكامها مستمدة من الشريعة الإسلامية، وحسب الرحالة فإن ما تميزت به حاضرة تنبكت "جوهرة الصحراء" و"مدينة الأولياء" هو كثرة مساجدها هذا دون احتساب (المصليات) الخصوصية، المنتشرة في مختلف ربوع الحاضرة. ومن المساجد المعروفة والشهيرة في الحاضرة المذكورة نجد: مسجد "جينجير بير"، الواقع في أقصى الجنوب الشرقي من الحاضرة السالفة الذكر الذي بناه مانسا موسى، ومسجد سانكوري الواقع في شمال الحاضرة، والذي بني في فترة مبكرة على نفقة امرأة ثرية، ومسجد سيدي يحيى الذي يقع وسط الحاضرة، والذي بني على نفقة قاضي البلدة، وكانت هناك ثلاثة مساجد أخرى: مسجد سيدي الحاج محمد ومسجد بلال ومسجد سيدي البامي[١١٤]. في حين يشير الرحالة الفرنسي روني كايي إلى وجود سبعة مساجد إلى جانب هذه المساجد الأنفة الذكر[١١٥]، وفي ذات الاتجاه يشير كايي إلى أن كل مسجد من مساجد حاضرة تنبكت يتوفر على إمام يشرف على الأذان والصلاة، ولا يتقاضون راتبا ما عدا ما يقدمه السكان لهم في شكل وجبات تتكون غالبًا من الخبز والدخن والأرز والأسماك المجففة والفستق والجبن[١١٦].

خَاتِمَةٌ

وحاصل الكلام، يمكن اعتبار رحلة كل من "روني كايي" و"هنري بارث" من الرحلات النفيسة والنادرة نظرًا لما تزخران به من معطيات وبيانات وإضافات قيمة وفي غاية الأهمية من شأنها، إذا ما استغلت بالكيفية المثلى والصحيحة، أن تسد الفراغ المعرفي والبياض الذي تشكو منه الكتابات التاريخية المحلية حول حاضرة تنبكت التي يغلب عليها الشح والابتسار، سواء على صعيد عناصرها الإخبارية أو ما قدمته من (حقائق) ووقائع موثقة. وعليه، فالعودة إلى مثل هذه النوعية من الكتابات الأجنبية، رغم نظرتها الاستعلائية وأحكامها المسبقة وخطابها الذي يشرعن للغزو والهيمنة، أضحت اليوم ضرورة ملحة يفرضها البحث التاريخي المعاصر، من أجل الاستفادة منها، خاصة في مقاربة مواضيع وقضايا جديدة تهم أساسًا التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والديني وتاريخ الذهنيات.

صحيح أن هذه الكتابات لم تمكننا من رسم صورة شاملة وواضحة حول تاريخ حاضرة تنبكت على اعتبار أنها تظل في التحليل الأخير قاصرة عن الإمساك بمفاصلها وتقديم تفصيلات حولها لانشغالهم بخدمة أهدافهم الاستعمارية، متذرعين بتتبع تفاصيل الحياة السياسية والاقتصادية والجوانب الجغرافية والطبوغرافية، فضلاً عن كونها أعطت أحكامًا متسرعة حول الحياة الاجتماعية كان معظمها مخالفا للحقائق التاريخية، بيد أنها على الأقل بإمكانها أن تستكمل لنا بعض التصورات وتسد بعض الفجوات التي تعاني منها باقي المصادر الإخبارية.

الإحالات المرجعية:

(١) مدينة تقع في شمال شرق فرنسا، سميت بهذا الاسم نسبة إلى نهر موز.

(2) Caillié, René, **Journal d'un Voyage a Temboctou et a Jenné dans l'Afrique Centrale**, L'imprimerie Royale, Paris, 1828, Tome 1, p 2.

(٣) أو تينبكتو، وسميت بلهجة التماشق الطوارقية تنبكت، مدينة في مالي من أهم العواصم الإسلامية في غرب إفريقيا، وتلقب "بجوهرة الصحراء المتربعة على الرمال"، وهي البوابة بين شمال إفريقيا وغربها، وملتقى القوافل البرية، وتجارة الملح. وقد أنجبت العديد من الفقهاء والعلماء، وازدهرت فيها الحركة الثقافية، وتعاقب عليها الغزاة وآخرهم المستعمر الفرنسي الذي قاومته قبائل المنطقة بقيادة محمد علي الأنصاري الملقب بـ "أنقونا"، وتسمى منطقة تمبوكتو في الأرشيف الخاص بجمهورية مالي بقبيلة كيل انتصر لأن أغلب سكانها من الأنصار والطوارق وحلفائهم وبعض القبائل الأخرى ذات الأصول الإفريقية عنه يُنظر: هكار، أوغوسطان، **مونوغرافية تمبوكتو**، ترجمة زوليخة بنرمضان وحسن أميلي، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، الطبعة الأولى، ٢٠١٧، ص٢٧.

(٤) جوزفين، كام، **المستكشفون في إفريقيا**، ترجمة يوسف نصر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣، ص١٦٩.

(٥) الجوهري، يسري عبد الرزاق، **الكشوف الجغرافية دراسة لتاريخ لتاريخ الكشوف الجغرافية، ولتطور الفكر الجغرافي**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤، ص١٦٩.

(٦) مدينة ألمانية، تعتبر أكبر مدينة ألمانية من ناحية المساحة وثاني أكبر مدن ألمانيا من حيث عدد السكان بعد العاصمة برلين، تقع هامبورغ في شمال غرب ألمانيا على مقربة من بحر الشمال وبحر البلطيق.

(٧) جوزفين، كام، **المستكشفون في إفريقيا**، م. س، ص١٧٥.

(٨) المرجع نفسه، ص ١٧٥.

(٩) نفسه، ص ١٨١.

(١٠) جوزفين، كام، **المستكشفون في إفريقيا**، م. س، ص ١٤٥.

(11) Thomson, Joseph, **Mungo Park and The Niger**, Company Publishers, Dodd Mead, New York, 2016, p 75.

(12) Caillié, René, **Journal d'un Voyage a Temboctou et a Jenné ..., op, cit,** p 2.

(١٣) جوزفين، كام، **المستكشفون في إفريقيا**، م. س، ص ١٤٧.

(١٤) المرجع نفسه، ص ١٨١.

(١٥) جوزفين، كام، **المستكشفون في إفريقيا**، م. س، ص ١٤٤-١٤٥.

(16) Barth, Henry, **Travels and Discoveries in North and Central Africa**, London, 1958, V4, p 437.

(17) **Ibidem**, p 479.

(18) Caillié, René, **Journal d'un Voyage a Temboctou et a Jenné ..., op, cit,** p 311.

(19) **Ibidem**, p 311.

(20) Barth, Henry, **Travels and Discoveries in North ..., op, cit,** V4, p 479.

(21) **Ibidem**, p 479.

(22) Caillié, René, **Journal d'un Voyage a Temboctou et a Jenné ..., op, cit,** p 311.

(23) Barth, Henry, **Travels and Discoveries in North ..., op, cit,** V4, p 480.

(24) Caillié, René, **Journal d'un Voyage a Temboctou et a Jenné ..., op, cit,** p 311.

(25) Barth, Henry, **Travels and Discoveries in North ..., op, cit,** V4, p 480.

(26) **Ibidem**, p 481.

(٢٧) زبادية، عبد القادر، **دراسات عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص ١٠٠.

(28) Barth, Henry, **Travels and Discoveries in North ..., op, cit,** V4, p 440.

(٢٩) شعب استوطن الصحراء الكبرى، بين جنوب-غرب ليبيا وجنوب الجزائر، وأزواد شمال مالي، وشمال النيجر وبوركينا فاصو. وهم مسلمون سنيون مالكيون، ويتحدثون اللغة الطارقية بلهجاتها الثلاث تماجق وتماشق وتماهق. وقد اختلف المؤرخون في سبب تسميتهم الطوارق بين من نسبها إلى طرقهم الصحراء وتوغلهم فيها، ومن نسبها إلى انتسابهم إلى طارق بن زياد، وإن كان المرجح في ذلك اشتقاقها من نهر درعة المغربي في الشمال الذي تقيم حول ضفافه قبائل الملثمين، والذي يسمى بالطارقية (تاركا) وجمعها توارك. عنه يُنظر: هكار، أوغوسطان، **مونوغرافية تمبوكتو**، م. س، ص ٤٣.

(30) Barth, Henry, **Travels and Discoveries in North ..., op, cit,** V4, p 434.

(31) **Ibidem**, p 434-435.

(32) **Ibidem**, p 438-459.

(33) **Ibidem**, p 461.

(34) **Ibidem**, p 469.

(35) **Ibidem**, p 482.

(36) **Ibidem**, p 485.

(37) Caillié, René, **Journal d'un Voyage a Temboctou et a Jenné ..., op, cit,** Tome 2, p 311.

(٣٨) تقع صانصانديغ على الضفة اليسرى لنهر النيجر، على بعد ٥٠ كلم من سيكو، وقد أسست قريتها الأصلية حوالي سنة ١٢٢٠م على يد ألفا محمود كوما، وكانت في الأصل تسمى مانكوني (Mangoni)، ثم سينزاني (Sinzani)، ولم تأخذ إسمها الأخير إلى مع مجيء الفرنسيين عنه يُنظر: هكار، أوغوسطان، **مونوغرافية تمبوكتو**، م. س، ص ٥٧.

(39) Barth, Henry, **Travels and Discoveries in North ..., op, cit,** V5, p 26.

(40) Caillié, René, **Journal d'un Voyage a Temboctou et a Jenné ..., op, cit,** Tome 2, p309.

(41) **Ibidem**, p 307.

(42) Barth, Henry, **Travels and Discoveries in North ..., op, cit,** V4, p 485.

(43) **Ibidem**, p 485.

(44) Caillié, René, **Journal d'un Voyage a Temboctou et a Jenné ..., op, cit,** Tome 2, p318.

(45) **Ibidem**, p 318.

(46) Barth, Henry, **Travels and Discoveries in North ..., op, cit,** V4, p 480.

(47) Caillié, René, **Journal d'un Voyage a Temboctou et a Jenné ..., op, cit,** Tome 2, p307.

(48) Barth, Henry, **Travels and Discoveries in North ..., op, cit,** V4, p 395.

(49) Caillié, René, **Journal d'un Voyage a Temboctou et a Jenné ..., op, cit,** Tome 2, p343.

(50) **Ibidem**, p 311.

(51) **Ibidem**, pp 303-320.

(52) **Ibidem**, pp 307-347.

(53) Barth, Henry, **Travels and Discoveries in North ..., op, cit,** V4, pp 439-513.

(٥٤) هكار، أوغوسطان، مونوغرافية تمبوكتو، م. س، ص ٥٠.

(55) Barth, Henry, **Travels and Discoveries in North ..., op, cit,** V5, pp 19-21.

(٥٦) هكار، أوغوسطان، مونوغرافية تمبوكتو، م. س، ص ٥٠.

(57) Caillié, René, **Journal d'un Voyage a Temboctou et a Jenné ..., op, cit,** Tome 2, p320.

(58) **Ibidem**, p 321.

(59) **Ibidem**, p 313.

(60) Caillié, René, **Journal d'un Voyage a Temboctou et a Jenné ..., op, cit,** Tome 2, p319.

(61) Barth, Henry, **Travels and Discoveries in North ..., op, cit,** V4, p 450.

(62) Caillié, René, **Journal d'un Voyage a Temboctou et a Jenné ..., op, cit,** Tome 2, p319.

(63) **Ibidem**, p30.

(64) Park, Mungo, **Travels in the Interior Districts of Africa**, Publications, Portage, London, 1799, p 7.

(65) Barth, Henry, **Travels and Discoveries in North ..., op, cit,** V4, p 396.

(66) Caillié, René, **Journal d'un Voyage a Temboctou et a Jenné ..., op, cit,** Tome 2, p340.

(67) **Ibidem**, p347.

(68) **Ibidem**, p318.

(69) **Ibidem**, p315.

(70) **Ibidem**, p331.

(71) Barth, Henry, **Travels and Discoveries in North ..., op, cit,** V5, p 55.

(72) **Ibidem**, p27.

(73) Caillié, René, **Journal d'un Voyage a Temboctou et a Jenné ..., op, cit,** Tome 2, p318.

(74) Park, Mungo, **Travels in the Interior Districts ..., op, cit,** p 13.

(٧٥) مؤسسة خاصة بتعليم أبناء العامة أو الرعية وقد أقيمت هذه المؤسسة بجانب المسجد أول الأمر، تحرزا من نجاسة الصبيان للمساجد، ولكي لا يتخذ المسجد مكانا للتكسب، لذلك كانت تعرف بالمسيد في العامية، وتسمى كذلك المحضرة. عنه يُنظر أسكان، الحسين، **تاريخ التعليم بالمغرب خلال العصر الوسيط (١-٩هـ/٧-١٥م)**، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، ٢٠٠٤، ص ٩١.

(76) Barth, Henry, **Travels and Discoveries in North ..., op, cit,** V4, p 511.

(77) Caillié, René, **Journal d'un Voyage a Temboctou et a Jenné ..., op, cit,** Tome 2, p318.

(78) Barth, Henry, **Travels and Discoveries in North ..., op, cit,** V4, p 511.

(79) Barth, Henry, **Travels and Discoveries in North ..., op, cit,** V4, p 480.

(80) Caillié, René, **Journal d'un Voyage a Temboctou et a Jenné ..., op, cit,** Tome 2, p301.

(81) **Ibidem**, p318.

(82) **Ibidem**, p301.

(83) **Ibidem**, p305.

(٨٤) نهر في إفريقيا الغربية، وهو الثالث في القارة الإفريقية من حيث الطول بعد النيل والكونغو. وينبع من سيراليون عند سفوح جبال لوما (Loma)، حيث بعد انعطافة واسعة في تخوم الصحراء ينساب ليصب في الأطلنتيكي عند ساحل نجيريا، بعدما يخترق أراضي ستة دول إفريقية، اشتقت اثنتان منهما اسميهما منه عنه يُنظر: هكار، أوغوسطان، **مونوغرافية تمبوكتو**، م. س، ص٣٣.

(85) Barth, Henry, **Travels and Discoveries in North ..., op, cit,** V4, p 450.

(86) Caillié, René, **Journal d'un Voyage a Temboctou et a Jenné ..., op, cit,** Tome 2, p319.

(87) **Ibidem**, p306.

(88) **Ibidem**, p301.

(٨٩) تقع مدينة جني إلى الجنوب الغربي، من مدينة تنبكت، وتبعد عنها بحوالي ستمائة كيلومتر تقريبا، ورد اختلاف في تاريخ تأسيسها؛ إلا أن السعدي يورد أنها تأسست في القرن الثاني الهجري ٢هـ/٦٢٣م، عنه يُنظر: السعدي، عبد الرحمان، **تاريخ السودان**، مطبعة باردين، باريس، ص١٢.

(٩٠) الدخن أو البشنة (وبالعربية إيلان): وتطلق الكلمة على حبوب بعض الأنواع النباتية المنتمية إلى الفصيلة النجيلية هي الثمام، والثيوم، وذيل الثعل. وينبت خاصة في المناطق الجافة في قارتي إفريقيا وآسيا، وينتج حبوبا دقيقة جدا. يُنظر هكار، أوغوسطان، **مونوغرافية تمبوكتو**، م. س، ص٣١.

(91) Caillié, René, **Journal d'un Voyage a Temboctou et a Jenné ..., op, cit,** Tome 2, p313.

(92) Barth, Henry, **Travels and Discoveries in North …, op, cit,** V5, pp 18-19.

(93) Caillié, René, **Journal d'un Voyage a Temboctou et a Jenné …, op, cit,** Tome 2, p328.

(94) Barth, Henry, **Travels and Discoveries in North …, op, cit,** V5, p 21.

(95) **Ibidem**, pp 1-18.

(٩٦) المبروك الدالي، الهادي، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٩، ص.٢٩.

(97) Delafose, Mourise, **Haute Sénégal Niger**, paris, 1972, Tome2, p 163.

(٩٨) بابير الأرواني، مولاي أحمد، **السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت** البهية، تحقيق الهادي المبروك الدالي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، بنغازي، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ص٧٧.

(٩٩) الوزان، الحسن، **وصف إفريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الثانية، ج٢، ص ٥٤.

(100) Caillié, René, **Journal d'un Voyage a Temboctou et a Jenné …, op, cit,** Tome 2, p342.

(١٠١) المبروك الدالي، الهادي، **التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء**، م. س، ص ٣٠٧.

(102) Barth, Henry, **Travels and Discoveries in North …, op, cit,** V5, p 34.

(103) Caillié, René, **Journal d'un Voyage a Temboctou et a Jenné …, op, cit,** Tome 2, p309.

(104) Barth, Henry, **Travels and Discoveries in North …, op, cit,** V5, pp 5-36.

(105) Caillié, René, **Journal d'un Voyage a Temboctou et a Jenné …, op, cit,** Tome 2, p342.

(106) Caillié, René, **Journal d'un Voyage a Temboctou et a Jenné …, op, cit,** Tome 2, p401.

(107) **Ibidem**, p 313.

(108) **Ibidem**, p 322.

(109) Barth, Henry, **Travels and Discoveries in North …, op, cit,** V4, pp 36-37.

(110) **Ibidem**, pp 5-36.

(111) Caillié, René, **Journal d'un Voyage a Temboctou et a Jenné …, op, cit,** Tome 2, p304.

(112) **Ibidem**, p 312.

(113) **Ibidem**, p 322.

(114) Barth, Henry, **Travels and Discoveries in North …, op, cit,** V4, p 480.

(115) Caillié, René, **Journal d'un Voyage a Temboctou et a Jenné …, op, cit,** Tome 2, p 301.

(116) **Ibidem**, p 340.